

## النظريات الاجتماعية والنفسية المفسرة للاتصال

على الرغم من عدم توصل علماء الاتصال لفهم كامل ودقيق لآثار وسائل الإعلام على الجوانب النفسية والأخلاقية والاقتصادية والسياسية والثقافية والتعليمية لحياة الأفراد العاديين، إلا أن هؤلاء العلماء حشدوا قاعدة من نتائج البحوث التي تساعد على فهم هذه القضايا، فخلال القرن الماضي ركز العلماء في علم الاجتماع والنفس والاتصال على دراسة دور وسائل الإعلام في المجتمع.

ولعل إحدى المهام الأساسية لدارسي الإعلام هي تجميع النتائج العلمية حول آثار وسائل الإعلام والاتصال على المتعاملين معها من قراء ومستمعين ومشاهدين، وقد ظلت وسائل الإعلام لفترة طويلة تواجه الاتهامات التالية:

1. تدهور مستوى الذوق الثقافي العام.
  2. زيادة معدلات اللامبالاة، والميل إلى انتهاك القانون.
  3. المساهمة في انهيار الأخلاق العامة.
  4. تشجيع الجماهير على السطحية السياسية.
  5. قمع القدرة على الابتكار والتجديد.
- من جانب آخر يركز المدافعون عن وسائل الإعلام على أن هذه الوسائل بمثابة الخادم المخلص الأمين لأنها تحقق ما يلي:

1. تكشف الخطيئة وتعري الفساد.
2. تقوم بدور الرقيب أو الحارس فيما يتعلق بحرية التعبير.
3. تساهم في تثقيف ملايين الأفراد.
4. تقدم تسليية يومية لا ضرر منها للطبقة العاملة المرهقة.
5. تحيطننا علما بأخبار العالم والبيئة المحيطة بنا.
6. تجعل المستويات المعيشية لحياتنا أكثر وفرة وذلك من خلال الترويج للسلع والعمل على إنعاش المؤسسات الاقتصادية .

هذا جزء من الجدل الدائرتين ايجابيات وسائل الإعلام وسلبياتها، وبوحة عام فإن طبيعة وسائل الاتصال الجماهيري تتركز حول ثلاثة أسئلة محورية هي:

1. ما هو تأثير المجتمع على وسائل الإعلام وما هي الظروف السياسية والاقتصادية والثقافية التي جعلت وسائل الإعلام تمارس عملها بالشكل الحالي.
2. كيف يحدث الاعلام، وهل يختلف في الجوهر أو المبدأ، أم يختلف فقط في التفاصيل الخاصة بالاتصال الأكثر مباشرة بين الأفراد.

3. ماذا تفعل وسائل الإعلام في الناس، وهل تؤثر في قيمهم نفسياً واجتماعياً وثقافياً. لأسباب عديدة كان السؤال الثالث هو الذي تركزت حوله بحوث الإعلام في الماضي، إلا أن السؤالين الأول والثاني لم يلقيا حتى الآن الاهتمام الكافي من جانب الباحثين في علم الاتصال

### النماذج الاجتماعية

يستخدم مصطلح نموذج للإشارة إلى مجموعة من الافتراضات الأساسية، وعادة يربط علم الاتصال بين فكرة النموذج ومجموعة الافتراضات الأساسية، وتعتبر النماذج بوجه عام صياغات نظرية فضفاضة. أولاً: النموذج التطوري: يركز هذا النموذج على التغيرات الاجتماعية التي تطرأ على المجتمع خلال تطوره، الفكرة هنا هي أن المجتمع يشبه الكائنات العضوية من حيث التنظيم ومن حيث التطور والمجتمع كائن عضوي بيولوجي. آليات التغير الاجتماعي التي تظهر غالباً في النماذج التطورية وتعد نوعاً من الانتقاء الطبيعي مثل، البقاء للأصلح ووراثة الصفات المكتسبة. يتضمن النموذج التطوري الاقتراحات التالية:

1. النظر إلى المجتمع باعتباره مجموعة من الأجزاء المترابطة، وأنه تنظيم يقيم الأنشطة المرتبطة المتكررة والنموذجية.

2. يتعرض المجتمع باستمرار للتغير حيث تصبح أشكاله الاجتماعية مختلفة ومتميزة بصورة مطردة.

3. يتم نقل الأشكال الاجتماعية الجديدة من مجتمعات أخرى عن طريق الأفراد الذين يبحثون عن وسائل أكثر فعالية لتحقيق الأهداف التي يعتبرونها مهمة.

4. تحظى الأشكال الاجتماعية الجديدة التي تساعد الناس على تحقيق أهدافهم ولا تتعارض مع القيم الموجودة بالقبول، وتصبح أجزاء ثابتة من المجتمع المتطور، وعلى عكس ذلك يتم نبذ الأشكال الأقل فاعلية والتخلي عنها.

أهمية هذه الافتراضات تكمن في تاريخ وسائل الاتصال فخلال التاريخ أدرك الكثير من الناس أهمية سرعة أنظمة الاتصال وضرورة وصولها إلى أكثر عدد ممكن من المتلقين، وبمعنى آخر فإن نمو الإعلام كان على الدوام عملية تطويرية سواء كان ذلك من ناحية التكنولوجيا العملية أو الآلية أم من ناحية الأشكال الاجتماعية الضرورية وذلك لتحقيق الأهداف التي يعتبرها صناع القرار أهدافاً مهمة.

### ثانياً: نموذج الصراع الاجتماعي (هيجل - ماركس - انجلز)

يفترض هذا النموذج أن الصراع وليس الاستقرار أو التطور هو من أهم العمليات الاجتماعية، والفكرة هي أن المجتمع يتكون من عناصر اجتماعية متصارعة مثل أن المجتمع فيه: خير وشر، وقبح

وجمال، قوة وضعف، غنى وفقر، رجل وامرأة

أهم اقتراحات هذا النموذج:

1. المجتمع يتكون من فئات وجماعات من البشر تختلف مصالحهم بشدة.
2. تحاول كل جماعة تحقيق مصالحها الخاصة في إطار المنافسة الشديدة مع الآخرين.
3. المجتمع المنظم يتعرض لصراع مستمر بين الجماعات التي لها مكاسب والتي تسعى لمكاسب جديدة .
4. تحدث عمليات التغير المستمر من ثنانيا العملية الجدلية للمصالح المتنافسة والمتصارعة, وهكذا فإن المجتمعات ليست في حال توازن وإنما هي في حالة صراع وتغير مستمر وبتطبيق هذه الاقتراحات على وسائل الإعلام نلاحظ في ذلك المجتمعات الحرة عبارة عن مشروعات متنافسة تبحث عن الربح وتسعى كل وسيلة لتحقيق أرباح ومصالح وسط شبكة من القيود التشريعية والأخلاقية, وكذلك يوجد تاريخ من الصراع بين النظام السياسي والصحافة وكذلك الجدل حول حقوق الإعلام في مواجهة حق احترام الخصوصية الفردية, وحق الإعلام في حماية المصالح, وحق المستهلك من الحماية من الاعلانات الكاذبة (الاعلان).